وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعتها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضيةً فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف

بادر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب التربية والتعليم

الشذرة العاشرة من مجربة الدكتور اراسم (*)

التقليد والذاكرة

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتغرير به كمثل القنانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتسهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شعابه مورد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبخداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائفه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلا . وقد يكون الذنب في ذلك على المربين دونهما لما ينهجونه من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تميتها فانك ترى التلميذ الذي تربى على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجمل من القول المنثور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتفنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام ورعاتها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والاوصاف

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه مايحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافاتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لاذهانهم من المعاني والافكار واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان استخدام الجيشين بالفاظ مطنطنة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان مرادك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت(١). ولقد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجابة نال إكليلا مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً.

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينفلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهريا غير انه لا معنى لهذا الا انهم يعتاضون عن مُثُل الغابرين مُثُل الحاضرين لان محو طبيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقالتها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فانا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه فليقل لى بربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن الغرابة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرجو أن يكون « أميل » ميالا الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أني وهيلانة دأبنا في تحبيبها اليه وأفنحنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لاخفقنا في مسعانا الى غايتنا المطلوبة. فالقاء لهذا الخطر تراني مصمماً على ارجاء تعليمه اللغات القديمة واقرائه كتب مؤلفيها وقد جعلت له بمشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسميت في ايتائه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥ ق. م. وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة لهذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلا ورود أنباء صحيحة له عنه فلم تحضر فاتم تاريخه قبل ورودها ثم قال اني متكدر من ذلك ولكن قد انتهيت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعيي في الافضاء اليه بما لي أو ما لغيري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته سأعنى كل العناية بتنبيهه الى ان هـذه المُثُل لا تقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبتنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لا نكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لا غضاضة علينا في أخـذه عن كتّاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وترتيب المعاني والدِّقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من يعاشر بعض خواص الاجانب يقتبس شيأ من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لمشابهتـه لهم بحال من الاحوال كذلك معاشرة الاقدمين بواسطة ما تركوه من آثارهم توحي الينا شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين بضياء العرفان .

التقليد الخسيس سواء قلد فيـه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء أثره على إضعاف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فلشدَّ ما يخدعون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم اياها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الإنشاء والالفاظ والجمـل تفعل في نفوسهم ما يفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون ما فكر فيه المفكرون ولعمري ان هـذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل . ذلك ان ضروب الاستعباد متلازمة فمن قبل واحدا منها فقد أخـذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصـفه المقلدون بالمُثُل الحسنة يصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يجبن ويفزع عند كل عزيمة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يعرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسنا في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومـة عادة بربرية او تأييـد حق قلَّ ناصروه ورأى أن من وراء ذلك الاستهداف للسُّخرية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الجبان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشتهم ذلولا ويأتيهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما اكثر مايسومون أنفسهم من الخسف وما احط مايسفلون بها اليه من دركات الذل . عرفت امرأة بَرْزَةً (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة وهاولد كان قبلة آمالها فبدالها يوما من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاورة والتمثل باشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً بُرْداً من الخطر ويلقي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فغادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا قشورا محبوبة عند الناس ولكونه أوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأيا الا قوبل بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم مايقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان تُراثاً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلا من الاكياس أو نائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحببت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون مما يتغاضى على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكامنا ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا مقترعون مدنيون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظيفتهم على نظام معنوي يشف عن حذق واضعه فأنت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعا من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقلدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم : «الهوينا» أيها الاحداث واياكم ان تحيدوا عن الخطة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أدبارهم ولا يصغون الى ندائهم وان كثيراً من هؤلاء يحيزون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم واكن لشدة مايلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يولّى أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسيروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسيرون بما تتابعه لهم من ضروب الايذاء وما تبلوهم به من العقوبات والنكبات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسية ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم

ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لاميل » وكان الذي يعنيني من أمره قبل كل شيء انما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الاعجاب بها دون ان أرضاها لتربيته

﴿ المقالة الحادية عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعاثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا

ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكراههم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفلحون غالباً الا في ان يكرّهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان

فالإفراط في الوقاية من جانب المعلم يصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في اعجابه بما يعلمه يذهب بالحمية من نفس هذا فيما يتعلمه

والمقصود من التعليم على أي حال انما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فانه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامتثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدحهم والقبيح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لاتكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همتهم في مستقبلهم مصروفة الى تلقي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلا

سادع ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منهاضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لا على ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضن عليه بالإرشاد متى سألني اياه تجدني اقصد ان يلتمس في ما يطالعه تنمية افكاره وتربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتهى ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واغتبط لو انه اتفق معي في التأثر بما فيها غير اني لا اجدني محقاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كالا يطابق بالضرورة بعض أحوال تتعلق بنفسه أو بوظائف أعضائه ٠ يدلك على ذلك اننا لا نكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعناها في ذلك الزمن ٠ لم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا في شيخوختنا الا النزر اليسير ٠

آثار علمية

(الاسلام والنصرانيه ٠ مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هذا الكتاب اقبالا لم يعهد في هذه البلاد وأمثالها حتى إننا لنتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً ٠ وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح لطبعه وأثنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب وألزمنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام

وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريظه لأحمد أفندي الكاشف وأننا ننشرها أيضاً في المنار وهي

سلاما حجة الإسلام فينا ورضوانا رجاة المسلمينا
غنيت بما كتبت فكان وحيا يؤيد وحي مُلهِمك المبينا
فلم تترك لمتهجم مكانا يرى فيه المزاعم والظنونا
فما بطل يخوض الحرب فرداً فما يدعو بآخر مستعينا
جهاداً في سبيل الله يفدي بمهجته المواطن أن تهونا
يأبى منك آثاراً وذكرا وقدراً في قلوب العالمينا
وكان يراعك المنصور سيفاً وكان كتابك الدرع الحصينا